

روح المعاني

من الفساد بعد ما كانوا ببابل دهرًا طويلاً تحت قهر بختنصر أسارى فى غاية الذل والمهانة فوجه ا D ملكا عظيماً من ملوك فارس إلى بيت المقدس فعمره ورد من بقى بنى إسرائيل فى أسر بختنصر إلى وطنهم وتراجع من تفرق منهم فى الأكناف فاستقروا وكثروا وكانوا كأحسن ما كانوا عليه وقيل لما ورث بهم ابن أسفنديار الملك من جده كاسف ألقى ا تعالى فى قلبه شفقة عليهم فردهم إلى الشام وملك عليهم دانيال عليه السلام فاستولوا على من كان فيها من أتباع بختنصر فقامت فيه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فرجعوا إلى أحسن ما كانوا عليه من الحال وذلك قوله تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم ولم يسند سبحانه التوبة اليهم كسائر أحوالهم من الحسبان والعمى والصمم تجافيا عن التصريح بنسبة الخير اليهم وإنما أشير إليها فى ضمن بيان توبة ا تعالى عليهم تمهيدا لبيان نقضهم إياها بقوله سبحانه : ثم عموا وصموا وهو إشارة إلى المرة الآخرة من مرتى إفسادهم وهو اجتراءهم على قتل زكريا ويحيى وقصدهم قتل عيسى عليهم السلام وجعل الزمخشري العمى والصمم أولاً إشارة إلى ماصدر منهم من عبادة العجل وثانياً إشارة إلى ماوقع منهم من طلبهم الرؤية وفيه أن عبادة العجل وإن كانت معصية عظيمة ناشئة عن كمال العمى والصمم لكنها فى عصر موسى عليهم السلام ولا تعلق لها بما حكى عنهم بما فعلوا بالرسول الذين جاءوهم بعده عليه السلام بأعصار وكذا القول على زعمه فى طلب الرؤية على أن طلب الرؤية كان من القوم الذين مع موسى عليه السلام حين توجه للمناجاة وعبادة العجل كانت من القوم المتخلفين فلا يتحقق تأخره عنها وحمل ثم للتراخي الرتبى دون الزمانى مما لاضرورة اليه وقيل : إن العمى والصم أولاً إشارة إلى ماكان فى زمن زكريا ويحيى عليه السلام وثانياً إشارة إلى ماكان فى زمن نبينا صلى ا عليه وسلم من الكفر والعصيان وبدأ بالعمى لأنه أول مايعرض للمعرض عن الشرائع فلايبصر من أتى بها من عند ا تعالى ولايلتفت إلى معجزاته ثم لو أبصره لم يسمع كلامه فيكون عروض الصمم بعد عروض العمى وقرء عموا وصموا بالضم على تقدير عماهم ا تعالى وصمهم أى رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال : نركته إذا ضربته بالنيزك وركبته إذا ضربته بركبتك وقوله تعالى : كثير منهم بدل من الضمير فى الفعلين وقيل : هو فاعل والواو علامة الجمع لاضير وهذه لغة لبعض العرب يعبر عنها النحاة بأكلونى البراغيث أو هو خبر مبتدأ محذوف أى العمى والصم كثير منهم .

وقيل : أى العمى والصمم كثير منهم أى صادر ذلك منهم كثيراً وهو خلاف الظاهر وجوز أن يكون مبتدأ والجملة قبله خبره وضعف بأن الخبر الفعلى لايتقدم على المبتدأ لالتباسه

بالفاعل ورد بأن منع التقديم مشروط بكون الفاعل ضمير مستترا إذ لا التباس فيما إذا كان بارزا والتباسه بالفاعل في لغة أكلوني البراغيث لم يعتبروه مانعا لأن تلك اللغة ضعيفة لا يلتفت إليها ومن هنا صرح النحاة بجواز التقديم في مثل الزيدان قاما لكن صرحوا بعدم جواز تقديم الخبر فيما يصلح المبتدأ أن يكون تأكيدا للفاعل نحو أنا قمت فان أنا لو آخر لالتبس بتأكيد الفاعل ومانحن فيه مثله إلا أن الالتباس فيه بتابع آخر أعنى البدل فتدبر وإنما قال سبحانه : كثير منهم لأن بعضا منهم لم يكونوا كذلك وإنما بصير بما يعملون .

. 71

- أي بما عملوا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها الفطيمة مع ما في ذلك من رعاية الفواصل والجملة تذييل أشير به إلى بطلان حسبانهم المذكور ووقوع العذاب من حيث لم يحتسبوا إشارة إجمالية اكتفى بها تعويلا